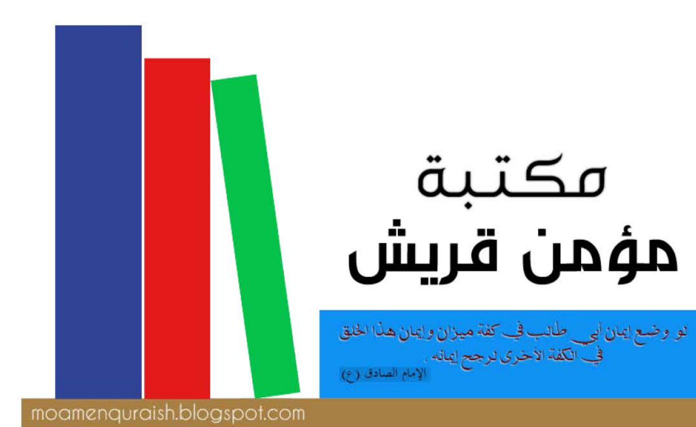

قوانين التفكير ومناهجه


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


بسم الله الرحمن الرحيم



قوانين التفكير ومناهجه

أكاديمية الحكمة العقلية



القسم الأول

قوانين التفكير

مقدمة

لا يختلف اثنان في تميّز الإنسان عن سائر الموجودات في عالمنا هذا، حيث اكتشف أسرار الطبيعة وقوانينها، واستطاع أن يسخرها لخدمته وراحته في مختلف العلوم الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء والفلك وعلم الأحياء والطب وغيرها، وبذلك تطورت حياته من مرحلة إلى أخرى حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من التقدم والرقي، وهذا بخلاف بقية الحيوانات فهي مازالت تعيش على نفس نمط حياتها الذي كانت عليه منذ أن وجدت في هذه الحياة.

كذلك آمن الإنسان بوجود خالق لهذا الكون، وبالرجوع إليه بعد الموت، واستجاب لدعوة الأنبياء واهتدى بهداهم، وسلك طريقهم، وهذب نفسه وتكامل في أخلاقه وصفاته، فهو في هذه أيضاً قد فارق بقية الحيوانات.

إذ كيف استطاع الإنسان أن يتخطى بقية أنواع جنسه(الحيوان) بهذه الدرجة الكبيرة، وتأهل لأن يكون خليفة الله في الأرض دون غيره؟!

لعل الجواب عن هذا السؤال من البداهة بمكان بحيث لاتجد من يختلف فيه، أو ينكره عند سماعه، فالإنسان إنما ساد على هذه الأرض بعقله وتفكيره الذي تميز به عن سائر كائنات هذا العالم.

ولكن لنا أن نسأل سؤالا مهما هنا، وهو: هل للتفكير العقلي باعتباره ظاهرة من ظواهر الكون قوانين ثابتة يعمل على ضوئها لكي يصل إلى

النتائج المطلوبة بشكل صحيح، أم أن عمله يختلف من إنسان لآخر بحسب المستوى الثقافي والمزاج والذوق؟!

وبعبارة أخرى: نحن في جميع العلوم الطبيعية نحاول أن نكتشف النظام العام الذي تعمل على ضوئه الطبيعة، لأجل الوقوف على الطريقة الصحيحة لمحاكاتها وتحليل أجزائها والتركيب بينها، لغرض استغلالها في ما يخدم الإنسان، فنحن مثلا إذا أردنا الحصول على الماء من خلال التركيب المختبري، هنا لابد أولاً أن نعرف العناصر الدخيلة في تركيب الماء، ونسب هذه العناصر، والظروف المؤدية إلى التركيب بينها، لأن أي اختلال في أي واحد منها سيؤدي إلى تكون مركب آخر غير الماء وهو مالا نطلبه في هذه العلمية، وبالجملة لابد من معرفة القانون الكيميائي والفيزيائي لتكوّن الماء في الطبيعة، وهذا أمر واضح لانقاش فيه بين علماء الطبيعية.

فهل الأمر كذلك في التفكير العقلي؟ وهل توجد هناك قوانين تفرضها طبيعة تكوين العقل البشري على عمله، لابد من مراعاتها للوصول إلى نتائج صحيحة ودقيقة أم لا؟

لعل الجواب عن ذلك واضح أيضاً؛ إذ التفكير العقلي البشري واحد من أبرز الظواهر التكوينية في هذا العالم، ولابد أن يكون لعمله قوانين وقواعد تنظمه، ومن يراعي تلك القواعد والقوانين سيكون تفكيره العقلي صحيحا وموصلا للمطلوب، بخلاف من لا يراعيها فإنه بطبيعة الحال سيكون في معرض الخطأ والانحراف عما يطلبه في سلوكه العلمي.

علم المنطق

ولو سألنا عن العلم الذي يهتم بهذا الأمر، فهل هناك علم يبحث فيه عن اكتشاف تلك القوانين التي يعمل العقل على ضوئها؟

كان الجواب: أن الحكماء قد اهتموا منذ القدم بهذا الأمر، كما اهتموا بالعلوم الطبيعية، فوضعوا علماً أسموه بـ (المنطق) كان غرضهم منه هو تشريح عمل العقل وتحليله للوقوف على تلك القواعد والقوانين التي تحكمه، وتنقيحها وتدوينها للاستفادة منها.

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

تعريف علم المنطق

يمكن تعريف علم المنطق بأنه: العلم الباحث عن القواعد العامة التي تنظم عملية التفكير للوصول إلى نتائج فكرية صحيحة وبدون مراعات هذه القواعد يختل التفكير ويفسد الفكر .

إذن علم المنطق وضع لتنظيم عملية التفكير، فلابد أن نعرف عملية التفكير بشكل مفصل حتى نفهم دور المنطق بشكل أوضح، فما هي عملية التفكير؟

عملية التفكير

والمراد من التفكير هو حركة النفس الإنسانية بقوتها العاقلة عندما تواجه مجهولا معينا، حيث تتحرك نحو ما هو مخزون عندها من معلومات مسبقة، فتبحث فيها عما يناسب هذا المجهول وبعد أن تجد تلك المعلومات، ترتب بينها لتصل إلى نتيجة معينة ترفع الجهل فيصبح ماواجهته من أمر مجهول معلوما عندها.

وبهذا فإن عملية التفكير عبارة عن حركتين، الحركة الأولى يتم من خلالها جمع المعلومات المناسبة لرفع المجهول فمثلا لو أن باحثا في علوم الأحياء رأى موجودا صغيرا وأراد أن يعرف هل هو جماد أو نبات أو حيوان، فانه لابد أولاً أن يعرف عنه شيئا ما كأن يراقبه ويراه، هل هو ينمو ويتكاثر أم لا، وهل له إحساس وهل أنه يتحرك حركة إرادية أم لا؟ فإذا عرف هذه الأمور فإنه يستطيع عندئذٍ أن يذهب إلى ما هو مخزون في ذهنه من معلومات، ليتعرف على هذا الموجود، فإذا كان لا ينمو ولا يتكاثر مثلا، فلابد أن يختار معلومة مناسبة له مما هو مخزون في ذهنه، كـ (كل موجود لا ينمو ولا يتكاثر فهو

جماد)، وبعد اختيار المعلومات المناسبة للمطلوب تكون قد انتهت الحركة الأولى من التفكير، وهي حركة انتقاء المعلومات المناسبة للمطلوب،

ثم تبدأ الحركة الثانية التي يتم فيها التأليف بين المعلومات المنتخبة للوصول إلى المطلوب، بالطريقة التالية:

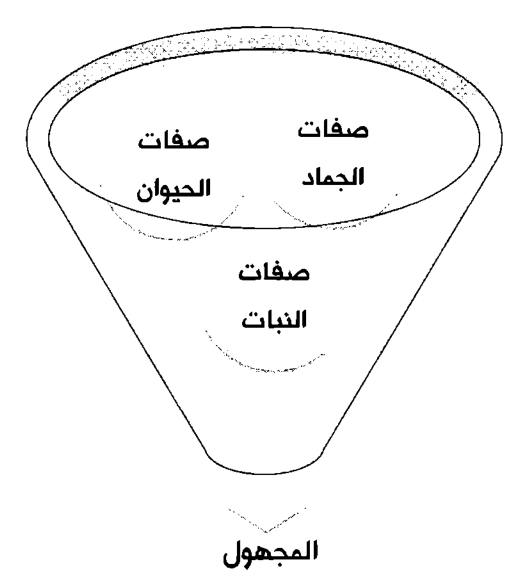
هذا الموجود لا ينمو ولا يتكاثر

كل موجود لا ينمو ولا يتكاثر فهو جماد

إذن هذا الموجود جماد

وعندها نكون قد تعرفنا على ما كنا نجهله وهو كون هذا الموجود جماداً، وبذلك تنتهي عملية التفكير.

وممّا تقدم يتبين أمران:



الأول: لا يمكن للإنسان أن يكتسب معلومات جديدة ما لم يكن لديه معلومات مسبقة، وبالتالي فعملية التفكير متوقفة على تلك المعلومات المسبقة، فهي بمثابة رأس المال لها.

الثاني: أن الحركة التفكيرية حركة صناعية منتظمة مؤلفة من حركتين: أحدهما لتجميع المواد الأولية، والأخرى لترتيب هذه المواد على الصورة المناسبة التي تؤدّي إلى المطلوب.

فكما أنّ النجار إذا أراد أن يصنع كرسياً، فإنّه بعد تخيل صورة الكرسي يقوم أولاً بتجميع المواد المناسبة له كالأخشاب والمسامير مثلاً، ثم يؤلّف بينها على صورة وهيئة معينة خاصة بمطلوبه، كهيئة الكرسي مثلاً. كذلك المفكر يقوم بتجميع المعلومات المناسبة لمطلوبه ثم يؤلف بينها على صورة خاصة بالمطلوب.

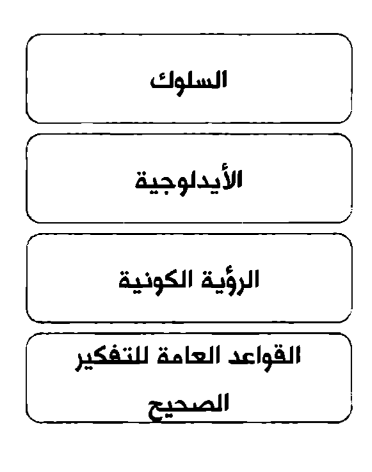
وكما أنّ الخطأ يمكن أن يقع في صناعة الكرسي إمّا من جهة المادة (كالمواد الرديئة أو المغشوشة)، وإمّا من جهة الصورة (كالصورة المنحرفة أو الناقصة)، كذلك قد يقع الخطأ في التفكير من جهة نوعية المواد المنتخبة[1]، كأن تكون مواد غير مناسبة للمطلوب، أو من جهة الصورة وعدم ترتيب هذه المعلومات على الهيئة الصحيحة الموصلة للمطلوب.

ومن هنا فقد مست الحاجة إلى صناعة فكرية تعلمنا كيفية انتخاب المعلومات المناسبة للمطلوب، وكيفية ترتيبها على الصورة الصحيحة لاكتسابه، وهذا ما تكفل به علم المنطق.

(1) المراد من مواد التفكير هي المفردات والقضايا المستعملة في التعاريف والأدلة.

غاية علم المنطق وفائدته

الغاية من دراسة علم المنطق هي معرفة القواعد العامة للتفكير الصحيح كما تبين سابقا، وذلك من خلال التعرف على الطرق الصحيحة لتحصيل العلم، وهذا الأمر ينعكس إيجاباً على مباني الفكر البشري، ممّا يؤدي إلى بناء رؤية كونية[1] صحيحة واقعية، وما يترتب عليها من أيديولوجية[2] حقة، تعيّن في النهاية سلوك الإنسان في الدنيا، ومصيره في الآخرة.



والذي لا يتقن قواعد المنطق، أو لا يراعيها عند التطبيق فإنه يكون في معرض الانحراف الفكري وبالتالي السلوكي.

(1) الرؤية الكونية مجموعة الآراء والنظريات العامة حول وجود الإنسان والعالم ومبدئهما، والتي يعبرّ عنها في لسان الشرع بأصول الدين.

(2) الأيديولوجية مجموعة النظم والقوانين العامة التي تحكم سلوك الإنسان في حياته الدنيا، وهي متفرعة عن الرؤية الكونية، وتسمى في لسان الشرع بفروع الدين.

موضوع علم المنطق

المراد من الموضوع هو المحور الذي يبحث في كل علم عن أحكامه الخاصة، فعلم الطب مثلاً موضوعه البدن الإنساني من حيث الصحة والمرض، وكل مسألة من مسائل علم الطب لها موضوع، وموضوعها إما هو البدن الإنساني أو أحد أجزائه كالعين أو القلب مثلاً، فكل الأبحاث الطبية تدور حول بدن الإنسان من حيث الأمراض التي يمكن أن تصيبه، وعلاج تلك الأمراض، فبدن الإنسان هو المحور الذي تدور حوله أبحاث علم الطب.

وعلى هذا فموضوع علم المنطق هو المحور الذي تدور حوله أبحاث هذاالعلم، وهو الوسيلة التي يكتسب بها العلم.

ولتوضيح موضوع المنطق لابدّ من بيان حقيقة العلم وتقسيماته، فما هي حقيقة العلم؟

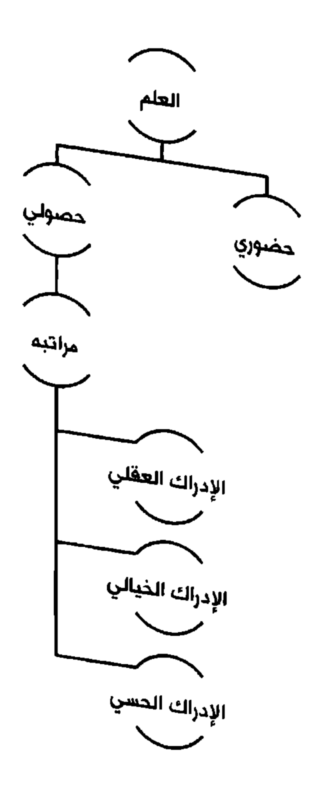
الجواب: العلم: هو حضور المعلوم عند العالم. وهو على قسمين:

1. **العلم الحضوري**: وهو حضور المعلوم بوجوده الخارجي عند العالم، ومثاله علمنا بوجود ذواتنا وحالاتها المختلفة، كعلمنا بعطشنا وجوعنا وخوفنا وألمنا...الخ، فالعالم هو نفسنا والمعلوم هو الألم الذي نشعر به من دون توسط شيء، وهذا القسم لا تتعلق به الأبحاث المنطقية.
2. **العلم الحصولي**: وهو حضور صورة المعلوم عند العالم، فعندما نعلم بالكتاب تحضر عندنا وفي أذهاننا صورة الكتاب لا نفس الكتاب الخارجي، فهنا ثلاثة أشياء عالِم وهو الشخص، وصورة الكتاب، وتمثّل الوجود الذهني للشيء، وشيء خارجي وهو الكتاب، ويمثّل الوجود الخارجي للشيء، فعلمنا هنا بالكتاب ليس بحضور نفس الكتاب في أذهاننا، بل بواسطة الصورة الذهنية للكتاب.

ثم إنّ العلم الحصولي على ثلاث مراتب:

أ. **الإدراك الحسي**: وهو حضور الصور الحسية المجسمة للأشياء عند الذهن، عندما يكون الشيء مواجهاً لواحدة من الحواس الخمسة، كادراكي لصورة الكتاب - بما فيها من طول وعرض وعمق وشكل ولون- في حالة كوني أنظر إليه بعيني.

ب. **الإدراك الخيالي**: وهو حضور نفس الصور المحسوسة المجسمة المحفوظة عند الذهن، ولكن في غير حال المواجهة بل بعد انقطاعها،



ومثاله عندما يتخيل الإنسان صور الأشخاص أو الأماكن التي شاهدها سابقاً.

ج. **الإدراك العقلي**: وهو إدراك المعاني الكلية المجردة عن المادة وآثارها، أي تلك المعاني التي ليس لها طول وعرض وعمق ولا شكل ولا لون، كمعنى العدل والحرية والحب وكمعنى الإنسان بما هو حيوان ناطق(أي كائن حي مفكر)، لا الصورة الحسية أو الخيالية المجسمة له.

وتنقسم مرتبة الإدراك العقلي من العلم الحصولي إلى قسمين:

1. **التصور**: والمراد به العلم بحقيقة الشيء في نفسه وفهم معناه، كتصور معنى الحيوان بما هو (جسم نامي حساس متحرك بالإرادة).
2. **التصديق**: وهو حكم العقل على المعنى بعد تصوره وفهم معناه، بأن يثبت له شيئا أو ينفيه عنه، كإثبات العلم للإنسان(الإنسان عالم)، أو نفيه عن الحجر(الحجر ليس بعالم)، وهو مختص بالمركبات الخبرية (الجملة الخبرية) التي يصح أن نصفها بالصدق أو الكذب، والتي تسمى بالقضية.

فمثلاً عندما تواجهنا قضية معينة مثل قضية (الكون له خالق)، فلابد للعقل أولاً أن يفهم معنى (الكون) ومعنى(خالق) والنسبة بينهما، وهذا ما يسمى بـ(التصور)، وبعد أن تتصور النفس القضية بكل أجزائها، فهي إما أن ترجح ثبوت الخالق للكون وتحكم بصدق القضية، أو ترجح انتفاء الخالق عن الكون وتحكم بكذب القضية، وهذا الترجيح من قبل النفس هو المسمى بالتصديق، وهو على نحوين:

التصديق اليقيني: وهو ترجيح النفس لأحد طرفي النسبة(الثبوت أو

الانتفاء) في الخبر من دون أن تحتمل الطرف الآخر، بمعنى أنها ترجح أحد الطرفين بنسبة(100%)، فيكون احتمال الطرف الآخر بنسبة (0%).

التصديق الظني: وهو ترجيح النفس لأحد طرفي النسبة في الخبر مع احتمال الطرف الآخر، كأن ترجح أحدهما بنسبة(80%)، وتحتمل الآخر بنسبة.(20%)

وقد لا ترجح النفس أي من طرفي النسبة، بل تبقى تحتمل كل منهما بنسبة(50%) وهذا مايسمى بالشك، وهو ليس من أقسام التصديق؛ إذ لا ترجيح للنفس فيه.

ثم إنّ العلم الحصولي بكلا قسميه (التصور والتصديق) ينقسم إلى قسمين:

أ. **ضروري (بديهي)** : وهو الواضح للنفس، فلا يحتاج إلى اكتساب وتوضيح، مثل تصور النفس لمفهوم الموجود(المتحقق)، أو تصديق النفس بأن(الكل أكبر من جزئه)، ككون التفاحة أكبر من نصفها، ومن هنا يتبين أن ملاك البداهة هو الوضوح.

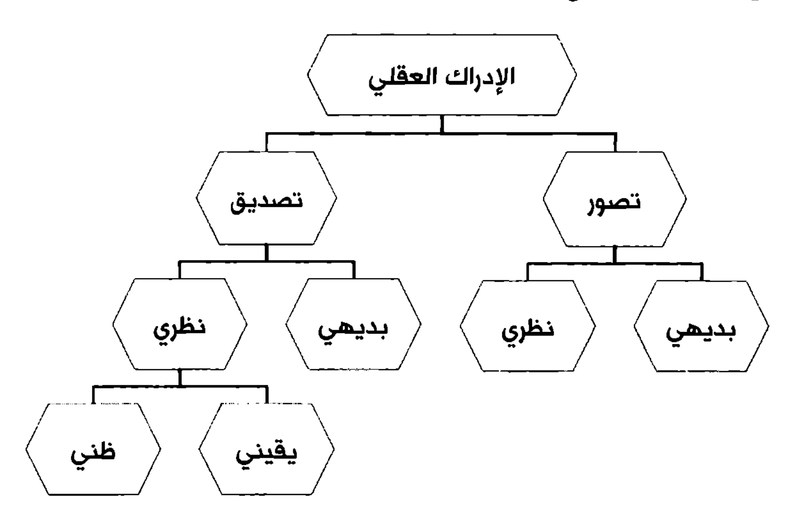
ب. **نظري(كسبي)**، وهو غير الواضح للنفس في طرف التصور أو التصديق، فتحتاج النفس إلى ما يوضحه لها، ويساعدها على فهمه(تصوره)، كما لو أرادت النفس أن تفهم حقيقة الإنسان، فإنها تحتاج إلى ما يوضحه لها، وهو القول المركب(حيوان ناطق)، وهذا القول يسمى بالمعرّف وهو كاسب التصور، أو تحتاج إلى ما يعينها في ترجيح أحد طرفي النسبة في الخبر(التصديق به)، فعندما تريد النفس أن تحكم وترجح أحد طرفي النسبة في قضية(هذه الحديدة متمددة)،فهل هي متمددة أم لا؟، فإنها تحتاج إلى ما يساعدها على ذلك، فتقول:(هذه الحديدة حارة، وكل حار

متمدد)، فترجح النفس كون هذه الحديدة متمددة بواسطة قولنا (كل حار متمدد)، وهذا القول يسمى بالدليل، وهو كاسب التصديق.

والذي يبحث عنه في علم المنطق هو العلم الحصولي النظري التصوري والتصديقي، أما البديهي فهو حاصل بنفسه لوضوحه، وهو رأس مال الباحث والمتعلم.

وممّا تقدّم يُعلم أنّ علم المنطق يعلمنا كيف نتوصل إلى فهم الحقائق (التصور)،وما هي أداة كسبه (التعريف)، وما هي ضوابطها التي تؤدّي إلى التصور الصحيح، كما يعلمنا كيف نرجح ونحكم بصدق أو كذب القضايا (التصديق)، وماهي أداة التصديق (الدليل)، وما هي ضوابطها التي تؤدّي إلى التصديق بشكل صحيح.

وبناء على ذلك يكون موضوع علم المنطق والتي تدور عليه أبحاثه هو كل من التعريف والدليل.



الفصل الثاني

المعرِّف (كاسب التصوّر)

المعرّف (كاسب التصوّر)

تمهيد

تواجه الإنسان في حياته العملية وفي سيره وبحثه العلمي جملة من الأشياء الغامضة التي لايفهم حقيقتها ومعناها، أو لايستطيع أن يميزها عن بقية الأشياء.

وغموض هذه الأشياء وعدم تميزها عن غيرها يقف عادة كمانع من إتمام مسيرته ما لم يجد لها التوضيح والشرح الوافي، مما يلح على الباحث أن يتعرف على معانيها؛ من أجل تصورها بشكل تام وصحيح، وتحديد المعنى الدقيق المقصود منها، ومعرفة مايميزها تميزا تاما عن كل شيء غيرها ومن ثم نقلها إلى الآخرين.

وعدم مراعاة هذه النقطة الهامة أوقعت الكثير في التيه، وفي المنازعات اللفظية في المسائل العلمية والسياسية؛ بسبب الإجمال في مفاهيم الألفاظ التي يستعملونها، فيضطرب حبل التفاهم بينهم، ويذهب كل واحد منهم إلى مايتصوره في خاطره من المعنى؛ مما يؤدي إلى وقوع الخطأ في فهم مراد الآخرين، وعدم الوصول إلى توافق بين المتحاورين في المباحثات العلمية.

وهذا وغيره يبين أهمية بحث التعريف ومقدار الحاجة إليه؛ مما دعا المناطقة إلى بيان قواعد التعريف النافعة في بيان حقائق الأشياء وتمييز بعضها عن البعض الآخر.

وقبل بيان قواعد التعريف وحقيقته لا بد من بيان بعض الأمور التي تشكل مقدمة لبحث التعريف:

الأول: المفهوم والمصداق

المفهوم: هو الصورة الذهنية الحاكية عن شيء ما.

المصداق: هو ما يحكي عنه المفهوم، كزيد في الخارج الذي هو مصداق لمفهوم الإنسان.

مثال توضيحي: الكتاب الذي أمامك وبين يديك، لا شك أن له وجوداً خارج وجودك ومباين لك، وهو المسمى بالوجود الخارجي أو المصداق، كما أن له صورة في ذهنك تحكي عنه حتى لو غاب عنك وجوده الخارجي، وهذه الصورة هي التي نسميها بالوجود الذهني أو المفهوم.

المفهوم كلي وجزئي:

تقدم أن المفهوم هو الصورة الذهنية للشيء، وهذه الصورة قد تكون صورة لشيء عام يمكن تطبيقها في الخارج على أمور متعددة كمفهوم الإنسان والرجل والفرس وغيرها التي يمكن أن نجد لها أفراداً متعددة في الخارج، وهذا هو ما يعبر عنه بـ (المفهوم الكلي).

وقد يكون المفهوم عبارة عن صورة شيء خاص ومعين مشار إليه، كهذا الإنسان بعينه فإن هذه المفهوم لا يمكن أن ينطبق في الخارج إلا على فرد واحد

لا غير، فهي صورة لشيء خاص لا عام كما في الحالة الأولى. وهذا المفهوم هو ما يسمى بـ (المفهوم الجزئي).

الثاني: الذاتي والعرضي

المفهوم الكلي ينقسم إلى مفهوم ذاتي ومفهوم عرضي:

أولاً: المفهوم الذاتي، هو المفهوم المقوم للمعنى، والذي بانتفائه ينتفي المعنى، فبعض المفاهيم مركبة من مفهومين أو أكثر، كمفهوم الإنسان المركب من مفهوم الحيوان ومفهوم الناطق، وعندما ينتفي أيّ واحد منهما(الحيوان أو الناطق) لايبقى الإنسان إنسانا بل يصبح شيئا وحقيقة أخرى، والمفهوم الذاتي يكون على ثلاثة أقسام:

الجنس: هو المفهوم الذاتي العام، الذي تشترك فيه أكثر من حقيقة واحدة، كالحيوان في المثال، فإن الحيوانية مشتركة بين الإنسان والفرس والبقر وغيرها.

الفصل: وهو المفهوم الذاتي الخاص، الذي يختص بحقيقة واحدة من الحقائق المختلفة، كالناطق فأنه مختص بالإنسان فقط، ولا يثبت لبقية الحيوانات.

النوع: هو تمام الحقيقة الواحدة، فيكون هو عبارة عن مجموع الجنس والفصل، كالإنسان في المثال.

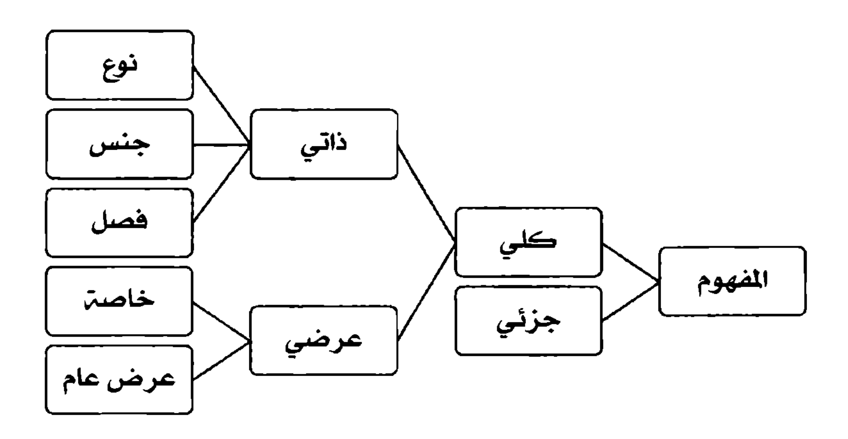


ثانياً: المفهوم العرضي، وهو المفهوم الذي يتصف به المعنى بعد تمام ذاته، مثاله: الإنسان كاتب، فالكتابة ليس لها دخل في تكوين ذات الإنسان، بل تعرض عليه بعد تكون ذاته وتمامها.

وينقسم المفهوم العرضي إلى عام وخاص.

العرض العام: هو المفهوم العرضي الذي يشترك فيه النوع مع غيره، مثاله: المتحرك عندما نقول (الإنسان متحرك بالإرادة)، فإن المتحرك بالإرادة لايختص بالإنسان، بل يثبت أيضاً للفرس والبقر وغيرها، وهكذا بالنسبة للماشي والآكل والشارب وغيرها.

العرض الخاص: وهو العرض المختص بالنوع، ومثاله بالنسبة للإنسان: الضاحك، المخترع، الكاتب، ...



المعرِّف (التعريف)

المعرِّف هو الأداة التي نتصور بها الأشياء، ونتعرف بها على معانيها التفصيلية بنحو صحيح، أو نميز بها بين الأشياء، ويسمى أيضاً(كاسب التصور)؛ لأنه الواسطة في اكتساب التصور لمعاني الأشياء.

وفي هذا الباب يتعلم الطالب القواعد العامة الصحيحة لكيفية انتخاب المواد اللازمة في تعريف الأشياء، وكيفية ترتيبها بصورة صحيحة؛ للوصول إلى تصوّر الشيء على ما هو عليه في الواقع، أو تمييزه عن غيره، ومن هنا نعرف أن واحداً من أهم وظائف علم المنطق هي بيان الكيفية الصحيحة للتعريف من حيث المادة والصورة.

وينقسم المعرِّف إلى حد ورسم:

الحد: وهو المبين لحقيقة الشيء، وهو التعريف بالذاتيات، وينقسم إلى تام وناقص.

الحد التام: هو تعريف الشيء بجميع ذاتياته، فالحد التام يعطي تصوراً تاماً عن الشيء، مثل تعريفنا الإنسان بأنّه: حيوان ناطق، أي بالجنس والفصل.

الحد الناقص: هو التعريف ببعض الذاتيات، فيعطي تصوراً ناقصاً عن الشيء، مثل تعريفنا الإنسان بأنّه: حيوان، أو بأنّه: ناطق.

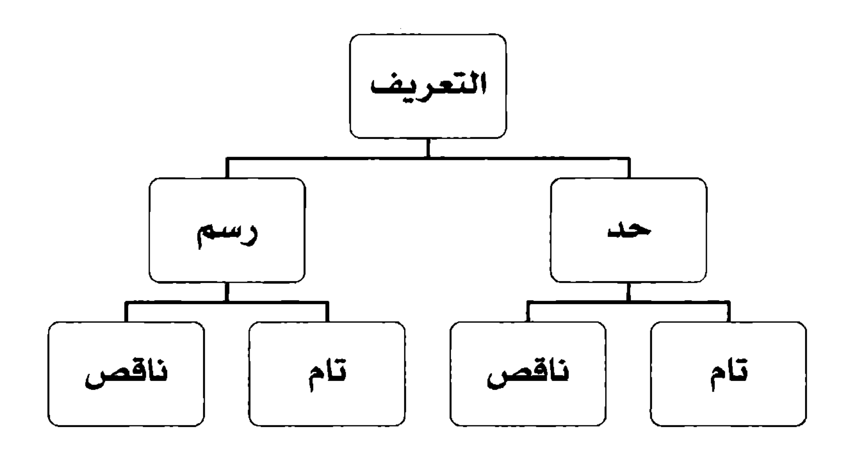
الرسم: وهو المميز للشيء عن غيره، وهو التعريف بالعرضيات، وينقسم أيضاًإلى تام وناقص.

الرسم التام: هو الذي يميز الشيء عن غيره تمييزاً تاماً، ومثاله: تعريفنا الإنسان بأنّه حيوان متكلم.

الرسم الناقص: وهو المميز للشيء تمييزاً ناقصاً، مثاله:تعريف الإنسان بأنّه حيوان ماشٍ.

والتعريف الصحيح بحسب المادة، هو أن نبدأ بالذاتيات، فإن لم يمكن تحصيلها ومعرفتها فنعرّف الشيء بالعرضيات.

أمّا بلحاظ الترتيب، فينبغي أن نبدأ أولاً بالمعنى الأعم ثم نقيده بالأخص، فنعرف الإنسان بالحيوان أولاً ثم نقيده بالناطق، لا العكس.



الفصل الثالث

الدليل

الدليل

هو عبارة عن تأليف بين قضايا معلومة لدى الذهن يتوصل بها إلى مطلوب مجهول (النتيجة)، ويعبّر عن الدليل بـ(كاسب التصديق)؛ إذ بواسطته يصل الباحث إلى التصديق بصحة قضية ما أو بعدم صحتها.

وقبل الدخول في تفاصيل بحث الدليل، لابد من بيان مقدمة حول تعريف القضية وأقسامها؛ لأن الدليل يتكون من تأليف معين بين قضيتين أو أكثر كما هو ملاحظ في تعريفه.

القضية: هي عبارة عن الجملة الخبرية التي تحكي عن وقوع نسبة بين شيئين في الواقع، ويصح أن نصفها بالصدق أوالكذب، وهذه النسبة قد تكون بين مفردين كقولنا: (السماء تمطر) و(الإنسان حيوان)، وقد تكون بين جملتين، كقولنا: (إن طلعت الشمس فالنهار موجود) و (العدد إما زوج أو فرد).

أقسام القضية: تنقسم القضية إلى أقسام مختلفة، منها:الحملية والشرطية:

أ. **القضية الحملية**: هي القضية التي يكون مفادها ثبوت شيء لشيء، أو سلب شيء عن شيء، فقولنا: (زيد قائم) يثبت القيام لزيد، وقولنا: (ليس زيد قائماً) يسلب القيام عن زيد.

وتتركب من ثلاثة أجزاء: الموضوع ـ المحكوم عليه ـ وهو (زيد) في المثال،

والمحمول ـ المحكوم به ـ وهو (قائم) في المثال، والنسبة الحكمية: وهي الرابط بين الموضوع والمحمول ولولاها ما انعقدت القضية.

وتنقسم القضية الحملية إلى عدة أقسام، منها:

1. **موجبة وسالبة**: فالموجبة مثل زيد عالم،والسالبة مثل ليس زيد جاهلاً.
2. **كلية وجزئية**: فالقضية الكلية مثل: (كل إنسان حيوان)، وجزئية مثل: (بعض الإنسان كاتب)، ولفظ (كل) و (بعض) يسمى: سور القضية.

ب. **القضية الشرطية**: وهي القضية التي مفادها وجود نسبة بين قضيتين أو سلب تلك النسبة، فإن كانت هذه النسبة هي المصاحبة والتعلق بين القضيتين فتسمى القضية بالشرطية المتصلة، كقولنا: إذا طلعت الشمس فالنهار موجود، فإنّ طلوع الشمس ووجود النهار متصاحبان ومتلازمان، وإن كانت النسبة هي العناد والانفصال فتسمى بالشرطية المنفصلة، كقولنا: العدد إما زوج أو فرد، فإنّ الزوجية والفردية في الأعداد لا يجتمعان بل هما وصفان للعدد متعاندان ومنفصلان.

ويسمى الطرف الأول للقضية الشرطية مقدماً (طلعت الشمس، العدد زوج)، والطرف الثاني يسمى تالياً (النهار موجود، العدد فرد).

طرق الاستدلال

وللاستدلال على المطلوب وإثباته ثلاثة طرق مختلفة باختلاف كيفية التأليف بين المعلومات(القضايا) المنتخبة للوصول إلى المطلوب:

الأول: **القياس**، وهو أن ننطلق من مقدمة مفادها ثبوت الحكم لموضوع كلي جامع بين الأفراد، ثم إسراء هذا الحكم للفرد المعلوم اندراجه تحت ذلك

الموضوع الكلي، وهذه الطريقة النزولية من الكلي إلى ما يقع تحته من الجزئيات تسمى عند المناطقة بـالقياس، وهي طريقة التفكير العلمي الفلسفي.

ومثاله: أن نعلم أنّ حكماً ما مثل الجسمية، ثابت للحيوان، ونعلم أنّ الإنسان مندرج تحت الحيوان، فنقول:

الإنسان حيوان . . كل حيوان جسم . .ينتج: الإنسان جسم

الانسان ~~حيوان~~
كل ~~حيوان~~ جسم
= **الإنسان جسم**

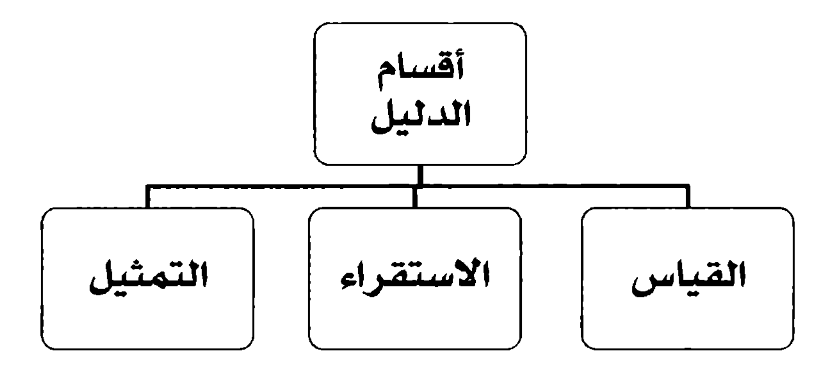
الثاني: الاستقراء، وهو أن ننطلق من العلم بثبوت الحكم للأفراد الواقعة تحت عنوان واحد كلي جامع بينها، فنثبت الحكم أولاً للأفراد ثم نثبته لذلك العنوان الكلي الجامع بينها، وهذه الطريقة الصعودية من الجزئيات إلى الكلي الجامع لها تسمى بـالاستقراء، وهي طريقة التفكير العلمي التجريبي.

مثاله: زيد ضاحك، عمرو ضاحك، بكر ضاحك

زيد وعمرو وبكر إنسان، ينتج: كل إنسان ضاحك.

الثالث: التمثيل، وهو أن ننطلق من العلم بثبوت الحكم لجزئي من الجزئيات، ثم ننقل هذا الحكم لجزئي آخر لا نعلم حكمه؛ لوجود علاقة شبه بينه وبين ما ثبت له الحكم أو وحدة سبب، وهذه الطريقة الأفقية بالانتقال من جزئي إلى جزئي آخر مشابه له تسمى بـالتمثيل.

مثاله:الخمر حرام، فالنبيذ حرام أيضاً؛ لأنّه يشبه الخمر في الإسكار.


أقسام الدليل
القياس
الاستقراء
التمثيل

الفصل الرابع

الصناعات الخمس

الصناعات الخمس

يستخدم الإنسان في إثبات مطالبه وأفكاره أنواعاً متعددة ومختلفة من القضايا؛ وذلك حسب مقصوده وغايته من الاستدلال، فإن أراد معرفة الواقع كما هو عليه يستخدم القضايا اليقينية وهذه صناعة البرهان.

وإن أراد إفحام الخصم وإلزامه الحجة أمام الناس فإنه يستخدم القضايا المشهورة والمتسالم عليها وهذه صناعة الجدل، وإن كان يريد إقناع الجمهور لجأ إلى القضايا المشهورة والمؤثرة في مشاعر الناس وهذه صناعة الخطابة، وإن أراد التأثير على نفوس الناس انقباضاً وانبساطاً فيعمد إلى المخيلات وتلك صناعة الشعر، وإن أراد التشويش وتغليط المخاطب فإنه يستخدم الموهمات والمشبهات وتلك صناعة المغالطة.

وبحسب اختلاف هذه الآثار وأسبابها، قسّم المناطقة القضايا التي يعتمد عليها في تكوين القياس إلى عدة أقسام:

أقسام القضايا باعتبار موادها

أولاً: القضايا البديهية (الواجب قبولها)، وهي القضايا التي يسلّم بها العقل بالضرورة لشدة وضوحها عنده، مثل (اجتماع النقيضين محال) و(الكل أعظم من جزئه).

ثانياً: المشهورات، وهي القضايا التي يعم الاعتراف والتسليم بها بين الناس لسبب ما حتى اشتهرت بينهم، مثل (العدل حسن) و(الظلم قبيح).

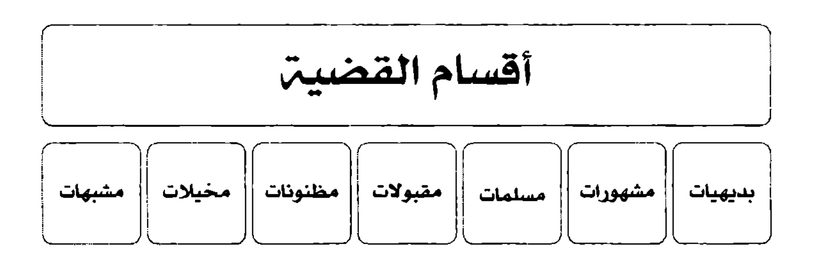
ثالثاً: المسلمات، وهى القضايا التى يسلم بها الإنسان أو يتسلمها لأى سبب من الأسباب.

رابعاً: المقبولات، وهي القضايا التي تؤخذ ممن يوثق بصدقه، فيصدق بها تعبداً أو تقليداً، كالأخبار الاعتقادية والفقهية المأخوذة من الأنبياء والفقهاء، أو القضايا التي تؤخذ من أصحاب الاختصاص، كما في الطب والهندسة والفلك وغيرها.

خامساً: المظنونات، وهي القضايا التي يُصدَّق بها لغالب الظن بترجيح أحد طرفيها مع تجويز الطرف الآخر، وأسباب الظن فيها كثيرة منها: التقليد والاستقراء والتمثيل والاستحسان وقضاء العادات.

سادساً: المخيلات، وهي القضايا التي تُحدِث في النفس أثراً من قبض أو بسط، فهي ليست من شأنها أن توجب تصديق النفس، بل الغاية منها إثارة النفس وتحريكها، كالقضايا التي تستعمل في الشعر والقصص والأعمال الأدبية.

سابعاً: **المشبهات**، وهي قضايا كاذبة ولكنها تشبه البديهيات أو تشبه



المشهورات، فيشتبه من لا يقدر على تمييزها، فيعدها صادقة، مثل(كل موجود يحتاج إلى علة) ; فإن الصحيح فيها هو (كل موجود ممكن يحتاج إلى علة) .

وبعد بيان هذه المقدمة الموجزة عن أنواع القضايا المستعملة في القياسات، ندخل في بيان الصناعات الخمس، حيث قسم المناطقة القياس بحسب نوع القضايا المستعملة فيه و بحسب الغرض منه إلى خمسة أنواع:

الأول: القياس البرهاني، وهو قياس مؤلف من قضايا يقينية، ينتج نتيجة يقينية بالضرورة.

فالقياس هو صورة الدليل البرهاني، والقضايا اليقينية هي مادته، وهي إمّا قضايا بديهية بينة بنفسها أو نظرية لكنها مبينة بإرجاعها إلى البديهية. وينتج هذا القياس اليقين بالمعنى الأخص، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت.

والغرض من البرهان هو معرفة الأشياء على ما هي عليه في الواقع ونفس الأمر معرفة دائمية لا تتغير.

الثاني: القياس الجدلي، وهو قياس مؤلف من قضايا مشهورة أو مسلمة، والغرض منه إلزام الخصم وإفحامه، ومن هنا فهو متوقف على وجود الغير (الخصم). وأكثر ما يستعمل في علم الكلام.

والقياس الجدلي لا يفيد اليقين بالمعنى الأخص، وإنّما يفيد اليقين بالمعنى الأعم. ويمكن الانتفاع به في إلزام المعاندين، والتغلب عليهم أمام الجمهور، والدفاع عن المعتقدات.

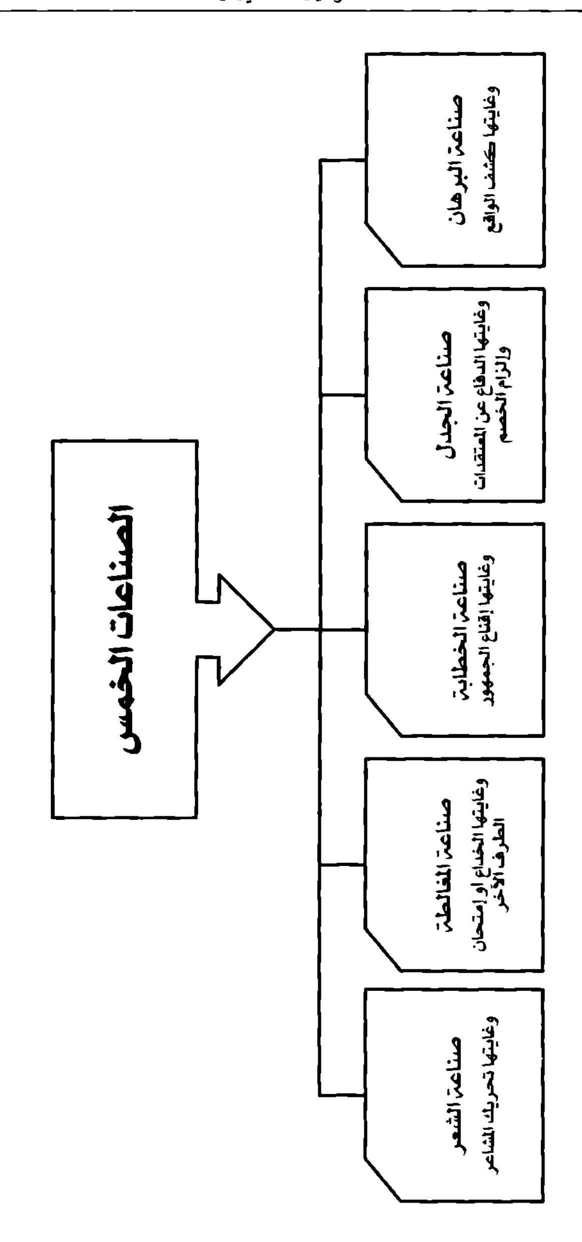
الثالث: القياس الخطابي، قياس مؤلف من مظنونات ومقبولات، الغاية منه إقناع الجمهور، ولا يفيد إلاّ الظن الذي يرجى منه الإقناع، وهو ما يستعمله الخطباء ـ المصلحون أو السياسيون ـ لإقناع الجماهير.

الرابع: القياس المغالطي، قياس مؤلف من قضايا مشبهة بالقضايا اليقينية، وقد تكون المغالطة مقصودة أو غير مقصودة، ولا يكتشفها إلا أهل الخبرة، والغاية منها الخداع والرياء أو التظاهر بالحكمة، وقد تستعمل لغرض حسن وهو الامتحان، بأن يوقع الشخص في الغلط لمعرفة قوته العلمية.

الخامس: القياس الشعري، قياس مؤلف من قضايا مخيّلة، الغرض منه التأثير في نفوس المستمعين بالقبض والبسط وتحريك المشاعر وإثارة العواطف تجاه قضيةٍ ما حقة أو باطلة.

وهو لايوجب تصديق النفس وإذعانها بمفاده، بل يوجب نحواً من التأثير فيها بالقبض والانبساط.

هذه نبذة مختصرة عن علم المنطق، لعلها تمكن الطالب من التعرف عليه إجمالاً قبل دراسته التفصيلية لهذا العلم الشريف.


الصناعات الخمس
صناعة البرهان
وغايتها كشف الواقع
صناعة الجدل
وغايتها الدفاع عن المعتقدات
والزام الخصم
صناعة الخطابة
وغايتها إقناع الجمهور
صناعة المغالطة
وغايتها الخداع او امتحان
الطرف الآخر
صناعة الشعر
وغايتها تحريك المشاعر



القسم الثاني

مناهج التفكير

تمهيد

الإنسان مجبول على حب الاستطلاع، والتعرف على ما يدور حوله من الموجودات، ومعرفة نفسه وما يتعلق بها، وهذا أمر مشترك بين جميع أبناء البشر، نعم قد يختلف شدةً وضعفا من شخص لآخر، بحسب القابليات العلمية المختلفة التي يحملها كل إنسان.

ولكن يختلف أفراد الإنسان في نمط التفكير الذي يعتمدون عليه في التعرف على الواقع، فمنهم من يعتمد على الحس والتجربة فقط، ويقول إن كل شيء لا تقوم عليه التجربة ولا يقع تحت الحس فهو وهم وخيال، ومنهم من يقول إن العقل يثبت أمورا لايستطيع أن ينالها الحس، وهناك من يعتمد على طرق أخرى للمعرفة.

وبحسب التتبع فإن المناهج التي يستعملها الناس فعلا للتعرف على الواقع ترقى إلى أربعة مناهج أصلية، هي: المنهج الحسي التجريبي، والمنهج العقلي البرهاني، والمنهج التعبدي الأخباري، والمنهج الكشفي العرفاني، فهناك من اعتمد على منهج واحد منها للكشف عن الواقع، وهناك من لفق بين منهجين أو أكثر من هذه المناهج الأصلية.

ومادام قد تعددت المناهج المعرفية عند الناس وحصل الاختلاف بينهم فيها، كان لابد من التحقيق في أدواتها أولا لمعرفة مدى اعتبارها وحجيتها،

وهل يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن الواقع أم لا، وما هي حدود دائرة تلك الحجية؛ وذلك لأهمية تلك المناهج في حياة الإنسان العلمية والعملية، كما يتبين لكل من حقق فيها وتعرف على حقيقتها، ومن هنا انبثق علم المعرفة ليقوم بهذه المهمة، ويؤدي هذا الدور.

ويتضح مما تقدم أنه يجب على كل إنسان أن يخوض غمار هذا البحث قبل أن يتصدى للبحث عن الحقيقة، فيحدد المنهج الصحيح الذي يجب أن يستعمله في بحثه، حيث ستبتني عليه نظرته للواقع، وبالتالي تحديد قواعد السلوك العملي التي سيعتمدها في حياته.

تعريف علم المعرفة: هو العلم الباحث عن الأحكام الخاصة للمناهج المعرفية المستعملة في الكشف عن الواقع.

توضيح

إذا أراد الإنسان التعرف على ما يحيط به من موجودات فعليه أن يستعين بالأدوات المعرفية المتاحة لديه، والتي توصله إلى تلك الموجودات وتربطه بها فيتعرف عليها، وهذه الأدوات المعرفية تختلف من حيث كشفها عن الواقع فبعضها يفيد اليقين وبعضها يفيد الظن، كما أنها تختلف من حيث المجال الذي تستعمل فيه، فبعضها لا تكشف إلا عن الأمور الواقعة تحت الحس، وبعضها تتعدى ذلك لتكشف عن الأمور غير المحسوسة وهكذا، فعلى الباحث أن يتعرف على هذه الأدوات وعلى كيفية كاشفيتها عن الواقع وعن مجال استعمالها، وبالتالي يحدد المنهج المعرفي الذي يستخدمه في الكشف عن الواقع، وهذا ما يتكفله علم المعرفة، حيث تنصب بحوثه على المناهج المعرفية من حيث مقدار كاشفيتها وحجيتها وموارد استعمالها.

موضوع علم المعرفة

تدور مسائل علم المعرفة حول المناهج المعرفية المستعملة في الكشف عن الواقع وتحقيق مسائل العلوم الأخرى؛ ولذا فإن هذا العلم يتميز عن سائر العلوم من جهتين، الأولى: من جهة الموضوع، حيث يختلف كل علم عن الآخر بموضوع خاص به، تتمحور حوله مسائله. والجهة الثانية من حيث طبيعة موضوعه؛ إذ أن سائر العلوم تبحث عن معرفة الأشياء المختلفة، وهذا العلم يبحث عن نفس المعرفة، وعن المناهج والطرق الموصلة إليها، وذلك من خلال البحث عن حقيقة تلك المناهج وماهياتها، وعن حجيتها ودائرة حجيتها، وعن علاقة بعضها ببعض من حيث التقدم والتأخر، وموارد استعمالها في العلوم المختلفة، وحدودها، وماهو الموقف عند تعارضها في معطياتها.

الغاية من هذا العلم

ذكر الحكماء قديما وحديثا أن السلوك الإنساني الاختياري ناشيء من مبادئ علمية تطبق على أي فعل لمعرفة حسنه أو قبحه؛ إذ أن الإنسان ما لم يعلم بوجود منفعة أومفسدة في الفعل، وبالتالي كونه حسنا أو قبيحا لا يتحرك نحوه أو يتركه، فالعلم هو المقتضي لإرادة الفعل أو عدم إرادته، وهذه المبادئ العلمية، هي ما يسمى بـ(الأيديولوجيات)، أو ما يعبر عنه بـ(ما ينبغي أن يكون).

والمبادئ العلمية هذه تبتني على مجموعة أخرى من القضايا، وهي قضايا نظرية كلية تشكل ما يسمى بـ(الرؤية الكونية) أو ما هو كائن، وتسمى بحسب المصطلح الديني بـ(أصول الدين)، كما يصطلح على الأيديولوجيات بـ(فروع الدين).

وعلى هذا يكون السلوك الإنساني الاختياري مبتنياً على الرؤية الكونية، والرؤية الكونية تختلف من واحد لآخر؛ والسبب الرئيس في ذلك هو اختلاف المنهج المعرفي المستعمل في الكشف عن الواقع ومعرفة الخطأ من الصواب.

وخلاصة القول: إن السلوك الإنساني قائم على الأيديولوجية، القائمة بدورها على الرؤية الكونية، التي تختلف باختلاف المنهج المعرفي.

ومن هنا تتبيّن قيمة علم المعرفة وأهميته؛ إذ فيه يُحقَّق المنهج المعرفي الذي تبتني عليه الرؤية الكونية المولدة للأيديولوجية العملية، وكفى بذلك أهمية لخير الإنسان في الدنيا والآخرة.

كما أن وحدة المنهج المعرفي هو الأساس لكل حوار علمي بناء، وفي المجال الفكري لو كان الحوار يدور حول قضايا أيديولوجية عملية، فينبغي لطرفي الحوار أن ينطلقا من اساس واحد، وهو الرؤية الكونية الواحدة، وهي كما بيّنا تعتمد على المنهج المعرفي وإن كان يدور حول قضايا اعتقادية (رؤية كونية)، فينبغي أن ينطلقا من منهج معرفي واحد، يكون بمثابة الميزان المشترك بينهما، والذي يدور الحوار على أساسه، وإلاَّ تحول الحوار إلى جدل عقيم.

قيمة المعرفة

معنى البحث عن قيمة المعرفة هو البحث عن اعتبارها أو عدم اعتبارها من الناحيتين النظرية والعملية، بمعنى أنّنا قبل أن نتعلم أي شيء لا بد أن نعرف أولاً هل أن العلوم التي يكتسبها الإنسان لها قيمة نظرية أو عملية أم ليس لها أي قيمة ؟

أما البحث عن قيمتها النظرية، فبمعنى:هل أن المعرفة (العلم) كاشفة عن الواقع الخارجي، وبالتالي يصح الاعتماد والتعويل عليها، ممّا يفتح الباب

على مصراعيه أمام البحث العلمي والتعليم والتعلم، أم أنّها ليست بكاشفة، وإنما هي مجرد خيالات وأوهام كاذبة من اختراع النفس الإنسانية، ليس لها أي قيمة ولا علاقة لها بالواقع ؟

وأمّا البحث عن قيمتها العملية، فبمعنى هل أنها كاشفة عن حسن الأفعال وقبحها الواقعيين أو لا؟، وترتيب الأثر العملي عليها من لزوم الفعل أو الترك، وبالتالي تشييد صرح النظم الأخلاقية والحقوقية والاجتماعية والسياسية في المجتمع البشري.

أدوات المعرفة

لا يمكن للإنسان التعرف على ما يحيط به من موجودات إلا من خلال الاستعانة بمجموعة من الأدوات والقنوات ـ كما تقدم، فيعتمدها في كشف الواقع المحيط به.

وهذه القنوات التي يمكن أن يستعملها الإنسان في مسيرته المعرفية تختلف في ماهيتها، وأنحاء كشفها عن الواقع، ممّا يجعلنا في أمسّ الحاجة إلى البحث العلمي المستقل حول أدوات المعرفة، والتعرف على ماهياتها، وحجيتها، ودائرة حجيتها، ومقدار كشفها عن الواقع على ما هو عليه؛ ليتسنّى لنا استعمال كل أداة من أدوات المعرفة في مجالها، وتوظيفها في حقلها المعرفي المخصص لها، فإنّ الأدوات المعرفية الخمسة ـ الحسّ، التجربة، العقل، القلب، الوحي ـ كلّ واحدة منها حجة في مدار معيّن.

وفي هذا البحث نريد التعرف على تلك الأدوات وموارد استعمالها ومقدار كشفها عن الواقع، فنقول:

أولاً: الحس

ينقسم الحس الإنساني إلى نوعين: الحس الظاهري، والحس الباطني المسمى بـ(الوجدان)، وبحثنا الرئيسي في الأول.

الحس الظاهري: هو عبارة عن جهاز يحتوي على مجموعة آلات تمكّن النفس من اكتشاف الخارج المادي. وكل واحدة من هذه الآلات قد رُكِّبت بنحو يُتعرَّف بواسطتها على نوع من الكيفيات المحسوسة المختلفة، وقنوات الحس الظاهري هي الجوارح الخمس، المتصلة مباشرة بالمادة، وهي: اللامسة، الذائقة، الشامة، السامعة والباصرة.

فهذه الجوارح الخمس أو الحواس الخمس تشترك جميعاً في كونها لا تدرك إلا الكيفيات المادية (الكيف المحسوس)، بحيث لا تدرك الأشياء التي لا كيفيات مادية لها، من قبيل الكيفيات النفسانية، كالحزن والفرح.

ثانياً: التجربة

التجربة: عبارة عن تكرار المشاهدة لجزئيات متماثلة، تحت ظروف مختلفة، لمعرفة كون هذا الأثر ثابتا لموضوعه على نحو التلازم أو الاقتضاء أو ليس بثابت.

أمّا بالنسبة لتكرار المشاهدة فهو أمر ضروري لإحراز التلازم بين الأثر وطبيعة المؤثر، أما الجزئيات المتماثلة تماثلاً نوعياً أو جنسياً فهي موضوع الحكم ومحل النظر، ولا بد من إجراء التجربة على عدد كبير من الجزئيات، وتحت ظروف مختلفة لإحراز عدم دخالة الأسباب الاتفاقية العرضية في حدوث الأثر، حتى نصل إلى نتيجة مفادها أن صدور الأثر عن ذات المؤثر

كان دائمياً أو في أكثر الحالات، وتمثل هذه النتيجة صغرى قياس خفي كبراه: إن الاتفاقي لا يكون دائمياً ولا أكثرياً.

ولذا ينبغي على المجرب أن يكون حريصاً على تجنب إعطاء حكم كلي إذا لم يجر التجربة تحت كافة الظروف التي يحتمل كونها دخيلة في النتيجة، بل لا بد أن يقيد نتيجة التجربة بالظروف الخاصة التي أوقع فيها تلك التجربة.

حدود التجربة

لا يمكن للقياس التجريبي أن يتخطى حدود المحسوسات، وإنّما يجري في المحسوسات فقط، ولا يصح إعمالها في كشف ما وراء الطبيعة، بل إنّ التجريبيين لا يمكنهم الوصول بواسطة التجربة إلى كشف حقيقة الطبيعة نفسها، وإنّما يعرفون بها ظواهر الطبيعة فقط، المعبّر عنها بـ(الكيفيات المحسوسة) المنعكسة على الحواس الخمس. فالتجربة حينئذٍ قياس برهاني صغراه حسّية ثبتت بالحس، وكبراه عقلية.

ثالثاً: العقل

يطلق العقل يراد به معاني كثيرة، منها: العقل الفلسفي، العقل العرفي، العقل التراثي، العقل المعرفي، وهو المقصود والمبحوث عنه في علم نظرية المعرفة.

العقل المعرفي: والمراد منه قوة النفس التي بها تدرك المعاني الكلية، وآلته الدماغ. وهو أحد الأدوات المعرفية، التي بها يحصل التعقل والذي يمثل المرتبة العليا من مراتب الإدراك، وراء الحس والخيال والوهم. وبهذه القوة يتميّز الإنسان عن بقية الحيوانات.

وللعقل بالمعنى الأخير دور أساسي في حصول التصورات والتصديقات،

وعلى ضوء مدركاته يتكامل الإنسان ويخرج من القوة إلى الفعل، في حركة تدريجية استكمالية، يميز من خلالها - في الرتبة الأولى - الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والخير من الشر، ثم يسير على جادة التكامل بأفعاله الاختيارية.

وينقسم بالقسمة الأولى إلى (عقل نظري) و(عقل عملي)، وهما قوتان من قوى النفس الإنسانية المجردة.

العقل النظري: هو الذي يدرك القضايا النظرية الكلية والجزئية، فالقضايا الكلية يدركها بذاته، والقضايا الجزئية يدركها بمعونة آلاته.

أما العقل العملي فهو المدبر للبدن الذى هو آلة استكمال النفس الناطقة الإنسانية.

رابعاً: القلب

الظاهر من كلمات العرفاء والصوفية أن المقصود بالقلب هنا هو عين جوهر النفس الناطقة المجردة عن المادة في مقام الذات، والمتعلقة بالبدن عن طريق قواها المتعددة، يقول أصحاب هذا الطريق إن قلب الإنسان ـ بما أنّه من سنخ عالم الغيب والمجردات ـ مرآة صافية تحمل الاستعداد التام لإشراق العلوم الغيبية عليها، لولا الموانع والحجب التي لحقتها بعد تعلقها بالبدن، وهذه الحجب ليست إلاّ التعلقات النفسانية بعالم المادة، فلابد من هتك هذه الحجب ورفعها لتتجلى الحقائق في نفس الإنسان. ويمثلون لذلك بالمرآة، فالمرآة كي تعكس نور الشمس لابد أن تتصف بثلاث صفات، هي:

الأول: صيقليتها، وهي تمثل استعدادها وشأنيتها لعكس النور.

الثاني: أن تكون صافية لا تشوبها كدورة تحجب مصدر النور، وهو يمثل رفع الموانع عن عكسها للنور.

الثالث: محاذاتها لمنشأ النور وتوجهها نحوه، وهو بمثابة الشرط لذلك.

وهكذا النفس، فهي مستعدة ليشرق عليها نور الحقيقة المشع عليها من عالم الملكوت، إلا أن ذلك موقوف على تصفيتها ورفع الحجب عنها، وذلك يحصل بالارتياض والسلوك على خلاف الطبيعة البشرية الحيوانية، والتجافي عن شأنية العجماوات التي منشؤها تعلق النفس بالمادة والماديات، فبقطع العلائق المادية يصير الإنسان ملكوتياً إلهياً.

حجية أداة القلب

لا شك في إمكان وجود هذه القناة كأداة معرفية، وهناك ما يشير إليها، كإلهامات الأولياء والمنامات الصادقة والحدس.

ولكن من المعلوم أنّ الدليل سبيل العاقل، فلابد من الحجة على المدعيات، وإلاّ اختلطت المقاييس وضاعت الموازين، والطريق المذكور طريق ذوقي ذاتي لا صناعي؛ لأن صناعية الطريق تكمن في موضوعيته وإثبات حجيته وكونه قابلاً للتعميم والنقل إلى الغير، والحال أن الإلهامات والإشراقات لا تتعدى قلب صاحبها، لمؤهلات فيه خاصة جداً ونفيسة، من الصعب استجماعها لكل أحد، فكان من الصعب الممتنع نقلها لكل أحد.

والمشكلة الأخرى التي تواجه هذه الأداة كون معارفها باطنية مجهولة المنشأ حتى على صاحبها الذي يشاهدها، وبالتالي لا يمكن التعويل عليها بنحو مستقل.

خامساً: الوحي

وهو أداة مختصة بالأنبياء ﷺ، وهو: عبارة عن قناة إلهية سماوية خاصة، مصدرها المبدأ الأول ـ سبحانه وتعالى ـ ومتعلقها الإنسان الكامل، المتمثل في الأنبياء، المتضمن لسلسلة من المعارف الاعتقادية، والأحكام الشرعية، والتعاليم الأخلاقية، من أجل هداية الإنسان، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

والوحي بهذا المعنى ـ المعرفة الإلهية الملقاة على قلب النبي ـ لا يمكن اكتسابه بالجد والاجتهاد، كسائر الأدوات المعرفية الأخرى المتاحة للجميع، كالعقل والحس وإشراق القلب.

ثم إنّ توسيط تلك النفوس الكاملة ـ الأنبياء ـ بين الخالق والمخلوقين، يقتضي عصمتها في مقام التلقي والحفظ والتبليغ، لكي يتحقق الغرض من الهداية الإلهية للناس.

أمّا بالنسبة إلى النصوص الدينية التي تنقل وتحكي عن الوحي، الموجودة بين أيدينا ـ وهي المقصودة هنا كأداة معرفية لنا ـ فلا تدخل في ضمن قناة الوحي، بل هي قناة معرفية مستقلة، تحتاج إلى إحراز الاطمئنان بسندها لنطمئن من صدورها عن المعصوم، كما لا بد من تحصيل الاطمئنان بها من جهة الدلالة ثم بعد ذلك يأتي الحديث عن كونها حجة أو لا، وما هي دائرة حجيتها.

المدارس المعرفية

على وفق ما تقدم من اختلاف الأدوات المعرفية واختلاف موارد استعمالها ومقدار كشفها عن الواقع، فعلى الإنسان الحكيم أن يستفيد من كل الأدوات ولكن كل واحدة في مجالها الخاص بها، وعدم حصر طريق المعرفة بأداة واحدة

واستعمالها في جميع الموارد، وباختلاف المناهج الأدوات المتبعة اختلفت المدارس والمناهج والتيارات الفكرية، ولنستعرض بعض المدارس المعرفية، ونتعرف على منهجها المعرفي والأداة التي تعتمد عليها.

والمدارس المهمة التي تسيطر على الساحة الفكرية ستة، نشير إليها باختصار:

أولاً: المدرسة التجريبية

وهي المدرسة التي اعتمدت التجربة الحسية كأداة معرفية وحيدة في كشف الواقع، ومعرفة الظواهر الكونية. وقامت بإقصاء واستبعاد كلّ ما لا يمكن مشاهدته أو إخضاعه للتجربة.

ثانياً: المدرسة الأخبارية

ليس المراد بالمدرسة الأخبارية المقصودة بالبحث هنا، هي مدرسة الوحي كقناة مقدسة مختصة بأنبياء الله، بل المقصود بها الاتجاه الذي يعتمد الظهور العرفي الظني في فهم النصوص الدينية، والجمود عليها في بناء الرؤية الكونية، دون أيّ تعقّل أو تدبّر لها، وبالتالي يحصر المعرفة الإنسانية الكلية فيها، ويُعرَف هذا الاتجاه أيضاً بمدرسة أهل الحديث أو المدرسة السلفية في عصرنا الحاضر.

وهذا الاتجاه ليس مختصاً بالدين الإسلامي، بل له جذور في الديانات القديمة لا سيّما اليهودية والمسيحية منها.

ثالثاً: المدرسة الكلامية

وهي المدرسة التي تعتمد الأدلة العقلية الجدلية والنصوص الدينية لإثبات

العقائد الدينية التي توارثوها من السلف، وفهموها بحسب الظهور العرفي الظني.

رابعاً: المدرسة الصوفية

تعتمد هذه المدرسة على قلب الإنسان كأداة معرفية وحيدة في كشف الحقائق.

ولهذه المدرسة جذورها قبل الإسلام، بل قبل الميلاد، وقد ظهرت مبكراً في التاريخ الإسلامي عند القرن الأول الهجري على أيدي بعض التابعين.

خامساً: المدرسة التلفيقية

وهي المدرسة التي تعتمد على أكثر من منهج معرفي في كشف الواقع، وقد تمثّلت في مدرستين، الإشراق والحكمة المتعالية.

أولاً: مدرسة الإشراق

تعتمد هذه المدرسة على البحث العقلي البرهاني والكشف الذوقي العرفاني، ويعتبر الطريق الثاني ـ الكشف ـ منطلقاً وأساساً للأول ومقدم عليه.

ويعدّ الفيلسوف النابغة شهاب الدين السهروردي صاحب حكمة الإشراق رائد هذه المدرسة ورئيسها.

وقد أكّد السهروردي في حكمته على أن البحث الفلسفي البرهاني متأخر عن الكشف القلبي العرفاني، حيث قال: وكما أنّا شاهدنا المحسوسات، وتيقنا بعض أحوالها ثم بنينا عليها علوماً صحيحة ـ كالهيئة وغيرها ـ فكذا نشاهد من الروحانيات أشياء، ثم نبني عليها، ومن ليس هذا سبيله فليس

من الحكمة في شيء وستلعب به الشكوك، وهو شبيه بقول محي الدين بن عربي (من لا كشف له لا علم له).

ثانياً: مدرسة الحكمة المتعالية

وصاحبها هو الفيلسوف الشهير والحكيم المتأله صدر الدين الشيرازي المعروف بـ(ملا صدرا).

وقد اعتمد في مدرسته الجديدة على ثلاثة مناهج معرفية لكشف الواقع، هي (المنهج العقلي البرهاني) و(المنهج الديني الكلامي) و(المنهج الصوفي العرفاني) أو كما يقال: (البرهان والقرآن والعرفان).

وقد اعتبر هذه المناهج الثلاث قنوات معرفية مستقلة تكشف عن حقيقة واحدة، وأن الحق هو ما تطابقت على كشفه هذه القنوات الثلاثة.

وهذا المنهج المعرفي التلفيقي مشاهد بوضوح في جُلِّ كتبه الفلسفية، بحيث لا يخلو برهان فلسفي له في أي مسألة عن الاقتران بآية قرآنية أو رواية أو شعر عرفاني أو مكاشفة صوفية لكي يؤكد على وحدة الغاية واتحاد هذه الطرق الثلاثة في الإيصال إلى الحقيقة الواحدة.

سادساً: المدرسة العقلية البرهانية

وهي مدرسة جمهور الفلاسفة والحكماء التي تعتمد المنهج العقلي البرهاني وحده بالذات في كشف الواقع والوصول إلى الحقيقة.

وتؤكد هذه المدرسة على أن الباحث لا بد أن يحصل على نتائج يقينية رصينة لبحثه، بعيدة عن الشكوك والشبهات والتجاذبات العاطفية العقائدية أو القومية وما شابه ذلك، بل لا بد له أن ينطلق في تفكيره وبحثه من نقطة

الصفر، وهي نقطة التشكيك الاختياري المطلق في كل ما يحيط به، ثم يشرع في التفكير فيخطو الخطوة الأولى، لإثبات أصل وجود الواقع الخارجي بنحو مجمل، ثم يشرع في الخطوة الثانية لإثبات إمكان العلم التفصيلي بهذا الواقع الموجود.

وليس أمامه في هاتين الخطوتين التفكيريتين للخروج من مستنقع الشك، إلاَّ أن يعتمد على سلسلة من المعارف الذاتية البيّنة بنفسها، التي يمكن الركون إليها والاعتماد عليها، ومعنى كونها ذاتية أنه لم يتلقها من أحد غيره، بل يجدها حاضرة عنده، وكأنها جزء من نسيجه الذهني، وأما كونها بيّنة بنفسها، فبمعنى عدم افتقارها إلى مبيّن غيرها، بل تكون بذاتها في غاية الوضوح بحيث لا يملك العقل إلاَّ التسليم المطلق أمامها، ولا يجد الشك طريقاً إليها.

وهذه المعارف البينة بذاتها ليست مختصة بفرد دون فرد أو طائفة دون أخرى، بل هي عامة مشتركة بين الجميع، وتسمى بـ(القضايا الأولية البديهية)، وعلى رأس الأوليات هي قضية امتناع اجتماع السلب والإيجاب أو ما يسمى بـ(امتناع اجتماع النقيضين)، وأصل العلية.

ثم عليه أن يتقدم بعد ذلك بخطوات ثابتة ومتأنّية للبحث حول المنهج المعرفي الصحيح الذي يضمن له التعرف على هذا الواقع على ما هو عليه في نفس الأمر، معرفة يقينية صادقة وثابتةومطلقة، لأنّ الخلل في أحد هذه الأوصاف يستلزم عدم التعرف على الواقع.

ويجب أن يبتنى هذا المنهج في خطوته الثالثة على ما ابتنت عليه الخطوتان الأولى والثانية، وهي القضايا البديهية الأولية حتى يرتفع البنيان المعرفي بنحو

متصل على أساس محكم ومتين، وإلاّ لاقتضى ذلك نوعاً من الانفصام المعرفي غير الموجه، والتشكيك في المبنى الأساسي، وبالتالي في البناء الذي قام عليه.

والمنهج المعرفي الجامع لكل هذه الشرائط والأوصاف، هو المنهج العقلي البرهاني، الذي يؤمّن لنا المعرفة الصحيحة والواقعية، فهو لا يعتمد في كشف الواقع إلا على الحد أو ما يقوم مقامه عند الضرورة في اكتساب التصور، وعلى القياس البرهاني في اكتساب التصديق، بحيث تكون كل المعارف الوجودية، والرؤية الكونية الفلسفية، والأيديولوجية العملية بعد ذلك مبنية على أساس محكم ورصين على قدر الطاقة البشرية.

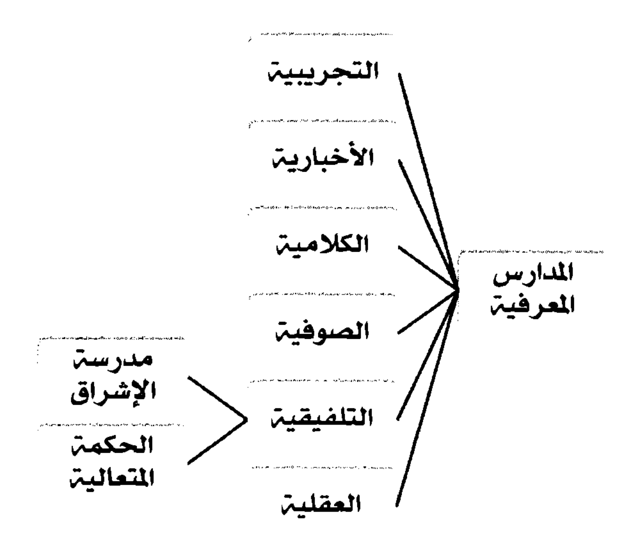
والبحث التفصيلي عن طبيعة هذا المنهج إنما يكون على عهدة صناعة البرهان من علم المنطق.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ دائرة حجية المنهج العقلي البرهاني بالذات منحصرة في دائرة الموضوعات الكلية الحقيقية، وكل ما سوى ذلك من الموضوعات فهي خارجة عن حريم الحكم العقلي البرهاني، ولنسمّها بـ(منطقة الفراغ العقلي)، والتي يمكن حصرها في صنفين من الموضوعات:

الصنف الأول: الموضوعات الاعتبارية التي اكتسبت وجودها من اعتبار المعتبر لها، كالأحكام الشرعية والقوانين الوضعية، فهي وإن كانت ملاكاتها واقعية، كالأحكام الشرعية عند العدلية، إلا أنها تكون حاضرة عند معتبرها لا غير.

الصنف الثاني: الموضوعات الشخصية المتغيرة التي لا سبيل للبرهان عليها بالفعل لا بالذات، ولا بالعرض إلاَّ بعَرَض طبائعها الكلية، نعم يمكنه أن يقطع بثبوتها لموضوعاتها الشخصية بالفعل عن طريق المشاهدة الحسية أو التواتر الحسي.

كما يوجد بحث مهم جدا في علم نظرية المعرفة حول العلاقة المتبادلة بين الأدوات والمناهج المعرفية، فهناك علاقة بين العقل والوحي والقلب والتجربة والحس، قد ذكرت بالتفصيل في علم المعرفة.



مُحتويات الكِتاب